مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار بمركز الخليج للأبحاث
Gulf Research Center Dialogue Lab

أوراق ثقافية

حول عقيدة «الماشيح» الصهيونية

الدكتورة نادية سعد الدين

باحثة ومحاضرة أكاديمية في العلوم السياسية

مديرة تحرير بجريدة «الغد» - الأردن

ابريل – 2026

المقدمة:

يرُوق لرئيس حكومة الاحتلال "بنيامين نتنياهو" تصوير نفسه على أنه "المسيح المُخلص" ومُنفّذ الوعد الإلهي للمستوطنين اليهود لإنقاذهم من شرور عداء الفلسطينيين والعرب معاً. فـ"نتنياهو" ليس مجرد سياسي صهيوني متطرف، بل صاحب عقلية مُشبعة بالأفكار الدينية المُستقاة من نصوص توراتية وتلمودية عنصرية تُشكل مصدراً مرجعياً فكرياً وعملياً للمتدينيين اليهود، لاسيما اليهودية الكلاسيكية والأرثوذكسية المتشددة (الحريدية)، وقاعدة وظيفية للصهيونية لتسويغ مزاعم الأحقية التاريخية والدينية في فلسطين المحتلة وتبرير نزعة العنف والعدوانية ضد الشعب الفلسطيني.

ويتكأ "نتنياهو" في ذلك على أبرز العقائد اليهودية المُمثّلة في عقيدة "الماشيح"، حيث الاعتقاد بالوعد الإلهي لليهود ببعث نبيٍ ينقذهم ويخلصهم من العذاب، بهدف جذب الأنصار والمؤيدين حوله وانتشاله من مأزقه الداخلي، فتضحى حرب الإبادة الصهيونية ضد قطاع غزة والعدوان على سورية ولبنان، وفق منظوره، "مُهمة إلهيّة" لتعجيل "مجيء المسيح المُنتظر"، الخاص باليهود وحدهم، وتسليم مفاتيح القدس له وإقامة "دولة إسرائيل التاريخية"، أو "الكبرى"، مما يجعلها وصّفة جاهزة لإضفاء "القدّاسة" المزعومة على نزعته الدّموية ومشروعه الاستعماري التوسعّي في فلسطين المحتلة والمنطقة.

مفهوم "الماسيحانية" في الفكر اليهودي

يُوظّف "نتنياهو" مفهوم "الماسيحانية"، عقب الالتفاف عليه، لخدمة مكاسبه الشخصية في بقاء اليمين الحاكم، مستفيداً من اعتناق زُمرة المستوطنين لمزاعم "الماشيح" أو "المسيح المنتظر" الذي لم يكن إنساناً عادياً في الفكر اليهودي، بل سماوياً خلقه الله تعالى قبل الدهر على أن يبقيه في السماء إلى حين تأزف ساعة إرساله في نهاية التاريخ أو "سبت التاريخ" فيظهر في جبل ميرون في الجليل ومن ثم يتوجه سيراً على الأقدام إلى القدس، التي اكتسبت لدى المتدينين قيمة دينية وفق ذلك الاعتقاد، إبان تجميع شتات اليهود المنفيين والعودة بهم للأرض المقدسة وتحطيم أعداء "إسرائيل" في معركة "هرمجدون"، التي تؤمن بها "الصهيونية المسيحية"، فيعم السلام بظهوره ويتخذ أورشليم عاصمة له تمهيداً لإعادة بناء الهيكل المزعوم.

وقد رسخّت نصوص التوراة والتلمود وتعاليمهما ما نتّج عن عقيدة "الماشيح" من أفكار متطرفة ارتبطت في أذهان اليهود الذين تربوا عليها بنوع من العصبية الدينية التي استسهلت فيما بعد قوالب القومية العنصرية وحدودها الضيقة، حتى أنها رأت في القومية نوعاً من الاستمرار والتواصل مع حياة العزلة والانطواء وراء جدران أنساق مغلقة عُرف أشهرها "بالجيتو"، بوصفه حياً منفصلاً محاطاً بالأسوار يقطنه طواعية أقلية دينية، مما زعزّع انتماء اليهود لأي حضارة أو مجتمع يعيشون بين ظهرانيه، وعمّق من إحساسهم بالتميز والتفرد والانفصال عن "الأغيار"، لأن انتظار "الماشيح" يُلغي الانتماء الاجتماعي والتاريخي، بينما ثيمة "العودة" تُضعّف إحساس اليهودي بالمكان وبالانتماء الجغرافي له.

وزاد البناء الحضاري والديني للجيتو من عزلة اليهود، فيما عمقتها القوانين الدينية اليهودية المختلفة، خاصة قوانين الطعام وتحريم الزواج المختلط وصلاة الجماعة وعادات الدفن والمدافن الخاصة، فاليهود لا يأكلون مع "الأغيار" ولا يصلون ولا يدفنون معهم ولا يتزوجون منهم، أي أنها عزلة كاملة من الميلاد وفي الحياة حتى الموت. ويبرز داخل هذا الإطار الانعزالي أهمية شخصيات كالحاخامات الذي يشغلون مراكز قيادية بارزة، ويتلقون تعليماً دينياً تلمودياً في معظمه ثم قبالياً (نسبة إلى القبالاه أو القبّاله أي التراث الصوفي اليهودي) مشكلين طبقة مثقفي "الجيتو"، بينما يُعد المعبد اليهودي أهم مكان فيه، باعتباره مكاناً للصلاة وللتعليم والاجتماع معاً.

وتترسّخ نزعة التطرف والإنعزاليّة في نفس اليهوديّ منذ الصغر، فيدرس في مدارس ملحقة بالمعبد اليهودي يُطلق عليها اسم "حيدر" ثم ينتقل منها إلى بيت "هامدراش" ثم إلى "اليشيفا" (المدرسة التلمودية) التي يتلقى فيها تعاليم التوراة والتلمود و"المدراش" و"الزوهار"، وهي كتب دينية أو صوفية، بدون الاقتراب من تاريخ "الأغيار"، فما يعنيه هو التراث اليهودي وتاريخ اليهود المقدس. وقد كان ذلك بمثابة النمط المثالي بالنسبة إليهم من دون أن يُعد الأسلوب المتبع في الحياة لكل سكان "الجيتو"، فرغم انعزاليته؛ كان يضم أعضاء الطبقة العاملة في التجارة والمال، إلا أن طبيعته تركت أثراً عميقاً في وجدان اليهود القاطنين به، فعمّق من انفصالهم عن العالم الخارجي، مقابل اعتناق فكرة الانتماء إلى "الشعب المختار" ومرحلية "الجيتو" المؤقتة إلى حين العودة، فكان اليهودي يُمارس طقوسه اليهودية داخله ثم يمتنع عن العمل يوم السبت حتى يُعجّل من عودة "الماشيح المُنتظر" ليقود شعبه إلى "أرض الميعاد" المقدّسة التي لم يزرها طيلة حياته ولا تربطه بها أي رباط سوى دراساته التلمودية.

بدايات تحريف "الماسيحانية"

لم يكن اليهود بعيدين عن التحولات الفكرية في المجتمعات الغربية، أواخر القرن السابع عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر، فظهر ما يُعرف "بالمسألة اليهودية"، ليس بفعل الاضطهاد والقهر المُتعمد من قبل "الاغيار" ضد اليهود، وفق مزاعم الصهيونية، وإنما نتاج عملية اجتماعية مركبة ساهمت فيها تلك الأوضاع، خاصة مع التحول للرأسمالية. وقد كان اليهود يحلون المشكلة إما بالهجرة إلى شرق أوروبا أو بالاندماج والاستيعاب في المجتمعات سياسياً واقتصادياً وحضارياً، ضمن ما عُرف بحركة "الإنعتاق"، أي تحديث أو "تعصير" المجتمع ككل بما في ذلك أقلياته، بوصفها جزءاً من حركة عامة تضم أقليات وفئات أخرى، بالإضافة لليهود، فالدولة التي فصلت نفسها عن الدين ومنحتهم الحقوق طلبت منهم القيام بدورهم بفصل حياتهم داخل الدولة كمواطنين عن انتماءاتهم الدينية وأي انتماءات أخرى تتعارض مع الانتماء القومي، فكان على اليهود التخلي عن انعزاليتهم التقليدية وولاءهم الغامض "لأرض الميعاد" البعيدة مقابل المواطنة.

ورغم ادّعاءات الصهيونية الزائفة؛ منحت معظم دول أوروبا اليهود حقوقهم المدنية والسياسية وقدراً كبيراً من الاندماج داخلها، فبرزت حركات مثل؛ "الهاسكلاه" (أيّ التنوير) على يدّ الفيلسوف اليهودي الألماني "موسى مندلسون" للمناداة بالدمج، و"اليهودية الإصلاحية" بمقولات المفكر اليهودي "صموئيل هولدهايم" للانعتاق من أسّر الطقوس الدينية لصالح الاحتكام للعقل، وصولاً إلى تخلّي تيار عقلاني تاريخي بزعامة "دافيد فرايد لندر" و"أبراهام جايجر" عن أسطورة "الشعب المختار" التي عمقت عزلة اليهود، مقابل من أعطاها دلالة أخلاقية مزعومة بوصفهم شعباً مختاراً صاحب رسالة أخلاقية ليست منفردّة، لنشرها في العالم، مما يناقض الفكرة اليهودية التقليدية التي رأت في الاختيار مسألة صوفية يحفها الغموض وأمراً ربانياً لا يمكن للبشر إدراك كنهه وفقاً لتأويلات التوراة.

بينما تمكنت "اليهودية الخلاصية" من طرح رؤية معدّلة لفكرة "الماشيح" لتضحى أكثر إنسانية وأقل أسطورية وقومية، بدلاً من الدوران داخل حدود التراث اليهودي التقليدي، وذلك عند المناداة بالعصر الماشيحاني الذي سيأتي بفعل التقدم العلمي والحضاري، فتحولت الأسطورة المطلقة إلى رؤية شاملة مُمكنة غير قاصرة على اليهود وحدهم.

لم تزُّق تلك التوجهات "لليهودية الأرثوذكسية" (المذهب المسيطر على الحياة بالكيان المُحتل) بزعامة الحاخام "رفائيل هيرش" و"اليهودية المحافظة" بزعامة الحاخام "زكريا فرانكل" والحركة الصهيونية، فوقفوا بالمرصاد ضد التيار الإصلاحي والتنويري، في تحالف ثلاثي وثيق ما يزال قائماً، لترسيخ مزاعم الأحقية الدينية التاريخية في فلسطين المحتلة، عبر تعميق العزلة الدينية كطريق وحيد، وتعظيم مكانة التوراة باعتبارها كلام اللّه تعالى كتبها حرفياً، قيمها خالدة أزلية تنطبق على كل العصور ولولاها لما تحقق وجود "شعب يسرائيل" الذي عليه إتباع تعاليمها بدون تغيير أو تبديل، فالدين اليهودي لم يكن مجرد عقيدة يؤمن بها اليهودي الفرد بل نظام ديني يغطي كل جوانب الحياة اليهودية.

وقد توافقت اليهودية "المحافظة" و"الأرثوذكسية" في إضفاء هالة من القداسة على حياة اليهود وتاريخهم، يرجعها "الأرثوذكس" إلى أصول ربانية بينما يرّدها "المحافظون" إلى أصول قومية، مع تأكيد متانة العلاقة التي تربط اللّه تعالى بالشعب والأرض والتوراة. وهذا هو جوهر الصهيونية، فاليهود بالنسبة إليها غير قادرين على التكيف مع الواقع التاريخي الجديد وعليهم البقاء داخل مقدساتهم القومية، لتحقيق "مهمتهم التاريخية التي تحتاج إلى قطعة أرض تكون وطناً لهم"، وفق الصهيوني "موسى هسّ"، بما يحمل ذلك الفكر المتطرف هروباً من التاريخ المحسوس إلى عالم تسيطر عليه الأساطير والمطلقات.

ويتكأ "نتنياهو" في ذلك على أبرز العقائد اليهودية المُمثّلة في عقيدة "الماشيح"، حيث الاعتقاد بالوعد الإلهي لليهود ببعث نبيٍ ينقذهم ويخلصهم من العذاب، بهدف جذب الأنصار والمؤيدين حوله وانتشاله من مأزقه الداخلي، فتضحى حرب الإبادة الصهيونية ضد قطاع غزة والعدوان على سورية ولبنان، وفق منظوره، "مُهمة إلهيّة" لتعجيل "مجيء المسيح المُنتظر"، الخاص باليهود وحدهم، وتسليم مفاتيح القدس له وإقامة "دولة إسرائيل التاريخية"، أو "الكبرى"، مما يجعلها وصّفة جاهزة لإضفاء "القدّاسة" المزعومة على نزعته الدّموية ومشروعه الاستعماري التوسعّي في فلسطين المحتلة والمنطقة.

الالتفاف الصهيوني على "الماسيحانية"

كان من السّهل أن تعتنق العقلية اليهودية، المجبّولة بالعنصرية والعدوانية، الأساطير القديمة بكل لا تاريخيتها، المتصلة بعودة "الماشيح المخلص" و"الشعب المختار" الذي عليه العيش منعزلاً عن الناس لتحقيق رسالته إلى حين العودة "لأرض الميعاد"، وإسباغ سمة المطلق على الدين والشعب اليهودي، والإيمان بالقانون اليهودي الدائم التطور شريطة اتساقه مع منطق اليهودية نفسها.

وسعى التيار الصهيوني، الذي ظهر تحت تأثير الكاتب الصهيوني "بيرتس سمولنسكين"، لتعميق نزعة الانفصال اليهودي، وليس الاندماج خشية الفناء، سبيلاً لحل ما يُسمى "المسألة اليهودية"

بالهجرة إلى "أرض الميعاد" في آسيا بعيداً عن أوروبا. ويمكن فهم سلوك مؤسس الحركة الصهيونية "ثيودور هرتزل" من هذا المنطلق برغم تحقيقه الاندماج على مستوى شخصي، فهو كيهودي نمساوي وكصحفي، كان مُهدّداً بفقدان موقعه الطبقي الحضاري بسبب وفود آلاف اليهود من شرق أوروبا، ولكن إيمان يهود الغرب بالصهيونية لم يكن إيماناً كاملاً بل كان عملياً جزئياً، فالحل الصهيوني اللاعقلاني ملائم ليهود الشرق، فحسب، أما بالنسبة إليهم فالحل المستنير العقلاني كان الأفضل، وفق منظورهم.

وجد الحل الصهيوني جذوره في طبقة يهودية متشرّبة بالثقافة اليهودية التي تدين بالولاء لتراثها الديني الغيبي، ولكنها مُشبعة أيضاً بالأفكار السياسية والاجتماعية الغربية من قومية إلى اشتراكية، مما أفرز قيادات صهيونية قادرة على التحرك في إطار معتقداتها الصهيونية الغيبية وإجادة استخدام المصطلحات والوسائل العلمانية. وتجسّد هذا التوالف في بروز عقيدة "الماشيح" الخاصة بالصهيونية، التي تقوم على دعوة اليهود بالكف عن الانتظار السلبي للماشيح، والحصول على الخلاص بأنفسهم، بالعودة إلى "أرض الميعاد" تحت مظلة المنظمة الصهيونية العالمية أو عن طريق العنف المباشر ضد اليهود أنفسهم، المُمانعين لمغادرة المجتمعات المقيمين فيها، لدفعهم إلى الهجرة والاستيطان في فلسطين المحتلة.

واستفادت الصهيونية من محاولات التنوير لتحديث فكرة العودة فوظفتها لصالحها عبر طرحها بشكل مغاير للشكل التقليدي مع الاحتفاظ ببعض عناصر الفكرة التقليدية،

فالعودة هنا إلى التراث اليهودي والمعتقدات الدينية اليهودية عودة غير كاملة لأنهما تعرضا للتحديث على يد دعاة التنوير، فكان على الصهيونية إضفاء غلالة علمانية عقلانية على المعتقدات الغيبية الأسطورية.

كما طرحت الصهيونية نفسها بوصفها حلاً شاملاً "للمسألة اليهودية" أينما وجدت، واستفادت من عدة عوامل منها شيوع مناخ فكري في أوروبا ضمن ما عُرف "بصهيونية الأغيار" أو "الصهيونية المسيحية" التي كانت تطالب بإعادة اليهود إلى أرضهم "الأم" حتى يتسنى الإسراع في تحويلهم للمسيحية، كشرط أساس لحلول العصر الألفي السعيد (ألف عام سيحكم فيها المسيح المخلص العالم ويسودها السلام والطمأنينة). وقد انتعشت تلك الأفكار الإسترجاعية في أوروبا بين صفوف اليهود وغير اليهود، إلى أن وصلت ذروتها في القرن التاسع عشر، عصر الإمبريالية، وصولاً لليوم.

وبما أن الأسطورة الدينية تتكيف مع الواقع الاقتصادي والتاريخي؛ فقد تحولت من مجرد فكرة دينية تؤكد على عودة اليهود إلى فلسطين بُغيّة تحقيق النبوءة الإنجيلية لتصبح برنامجاً استعمارياً يضمن عودة اليهود الاستيطانية لفتح الأسواق وخدمة المصالح الاستعمارية. وقد تجسّد توافق المشروع الصهيوني مع الصيغة الاستعمارية الغربية لحل مشاكل مجتمعاتهم في تفاوض الساسّة الصهاينة على عدة أراضٍ لتحويلها إلى "وطن يهودي"، بما فيها شبه جزيرة سيناء ومنطقة العريش وجزء من كينيا وأوغندا وجزء من قبرص والكونغو البلجيكي وموزمبيق والعراق وليبيا وسورية وإكوادور ومدغشقر، قبل وقوع الاختيار على فلسطين بعد توظيف أسطورة "أرض الميعاد" في البعد العقيدي المرتبط بالديانة اليهودية عند اليهود عقب تحويرها. ولعل إدراك أن الكيان المُحتل مجرد مستعمَرة تابعة ذات وظائف محددة يُفسّر ثيمة حروبه المتكررة التي لا يمكن فهمها كاملاً إلا بوضعها داخل إطار المصالح والتحركات الإمبريالية في الشرق الأوسط.

وبتحريف عقيدة "الماشيح" ذات الأصول العنصرية المتطرفة؛ والدعم الغربيّ، نفذت الصهيونية "جزءاً" من مشروعها الاستعماري الاستيطاني في فلسطين المحتلة، مستندة إلى "أساطير" دينية تاريخية لا تزال ديدّن وجودها، فبدونها تضحى حركة جوفاء تفتقد لمقومات الحياة والاستمرارية.

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

www.ar.grc.net

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation Geneva

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

Avenue de
Cortenbergh 89
4th floor, 1000
Brussels
Belgium